نظرية التواصل في تعليم المهارات اللغوية-دراسة لسانية تطبيقية

د. فاطمة ناصر المخيني

المقدمة:

تعد نظرية التواصل من الاتجاهات التربوية الحديثة في تعليم المهارات اللغوية للغة العربية؛ إذ بها يتم تنمية الفكر الإنساني وترقيته في كافة المجالات الفاعلة، والتي بدورها تحقق كيان الأمة ووحدتها.

وعليه، فلابدَّ من أن يكون هناك تخطيط لغوي محكم للنهوض باللغة العربية؛ كونها لغة القرآن الكريم، الذي تكفل الله عز وجل بحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

إذًا، فالتخطيط اللغوي ليس مجرد وضع أهداف أو برامج تربوية فحسب، إنما الأمر –هنا- يتعلق بإستراتيجية عميقة لتطوير الثقافة والفكر داخل أي بلد؛ لذا لابدَّ من أن يتم تعليم اللغة العربية ضمن اتجاهات تعليمية حديثة توفر لها مناخ ملائم لسير تعلمها وتعليمها، ومن بينها "نظرية التواصل" التي اخترناها عنوانًا لهذا البحث؛ فهو يطرح عدة تساؤلات مهمة ينطلق من خلالها، وهي:

١. كيف يمكن توظيف نظرية التواصل في تعليم المهارات اللغوية؟

٢. ما الصعوبات التي تواجه نظرية التواصل في تعليم المهارات اللغوية؟

٣. ما العلاقة بين المهارات اللغوية: الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة؟

المبحث الأول: الأساس النظري لنظرية التواصل

سيركز هذا المبحث على مفهوم التواصل وأهميته في تبلور فلسفة تعليم اللغة وتعلّمها، وتفعيل المناشط الفاعلة للارتقاء بالأداء اللغوي للمتعلمين.

أولاً- مفهوم التواصل

إنَّ التواصل حتمية وجودية في التعبير عن الوجود؛ إذ لا وجود لمن لا قدرة له على الإخبار عن ذاته لذاته أو للغير. فهو عملية نقل المعنى من شخص إلى آخر بواسطة الرموز، وظيفته توضيح المعنى المقصود، ومن ثم إيصاله وتوقع التفاعل معه. ومن هنا تعد نظرية التواصل من الاتجاهات الحديثة في تعليم المهارات اللغوية في العصر الحديث؛ ذلك أن فيها إدراك للحقائق والخبرات التعليمية؛ فهي أسلوب لتنظيم المادة التعليمية اللغوية بصورة متكاملة في هيئة مهارات لغوية وظيفية للمتعلّمين، ومن ثم توظيفها في أدائهم اللغوي، وذلك من خلال محتوى لغوي متكامل البناء، ترتبط فيه توجيهات القواعد اللغوية بمهارات اللغة ونوع الأداء المطلوب، من خلال نص لغوي متكامل، يعالج بطريقة تعتمد إجراءاتها على التكامل والتدريب والممارسة اللغوية(١)؛ إذ إن الخبرة اللغوية المقدمة للمتعلمين ينبغي أن تعكس هذا التكامل من حيث: عناصرها، وأسلوب تنظيمها، وأسلوب تقديمها وتقويمها. وهذا ما حثَّت عليه أدبيات الدراسة قديمها وحديثها، من أن تعليم اللغة العربية قد بدأ متكاملاً، وكتب التراث اللغوي خير شاهد على ذلك التكامل.

وعليه، فإن تعليم اللغة العربية بهذا الاتجاه سيسهم بشكل فعّال في فاعلية مخرجات التعليم بكافة مراحله ومستوياته؛ لكونه يساير طبيعتها في بناء مناهج تعليمها للمتعلمين.

ثانيًا- أهمية التواصل

إن أهمية التواصل تكمن في مدى فاعليته في تعليم اللغة العربية وتعلمها، من حيث هو عملية فكرية قائمة على التخطيط

المحكم المنظم، وكذا تتحدد فيه المواقف اللغوية التي تكون داخلة أثناء تعلم اللغة؛ مثل: المحادثة والحوار والتدريب وما إلى ذلك(٢). فهو مدخل يتمكن فيه المتعلم من اكتساب الممارسة اللغوية السليمة والمتكاملة؛ ذلك أن طبيعة اللغة العربية تتكون من نظم متكاملة؛ منها النحوية والصوتية والدلالية، وهي بدورها تحتاج إلى منهج يعالج تفتتها، بحيث تصبح وحدة شاملة تقدَّم للمتعلمين، ومن ثم يتحقق بها أداءه اللغوي، الذي بلا شك سيكون وسيلة مّثلى لتنمية الإبداع له ولمجتمعه.

ومن الأسس التي يستند إليها التواصل في تعليمه للغة العربية، أنه يعد أنموذجًا فعَّالا في تثبيت المهارات اللغوية الأربع الخاصة بتعليم اللغة(٣)، وهي الاستماع والتحدُّث والقراءة والكتابة، والتي بها يتحقق التواصل اللغوي بين المتخاطبين في المجتمع. ووفقًا لما سبق، فإن أهمية التواصل تتجلى في تنمية قدرات المتعلمين، واكتسابهم مهارات متنوعة، تؤهلهم للمضي قدمًا نحو الأفضل. فالتواصل نظرية تعتمد على الخبرة التربوية المتكاملة؛ لأن المتعلم حينما يستخدم اللغة في التعبير الشفهي أو الكتابي إنما يستخدمها وحدة مترابطة متكاملة(٤)؛ أي إنه لا يحتكم إلى قاعدة نحوية ليؤلف جملة، وإنما يتم له ذلك بشكل مترابط؛ وذلك تبعًا لطبيعة اللغة العربية؛ حيث إنها عبارة عن نظم متكاملة كما أسلفنا سابقًا.

المبحث الثاني: توظيف نظرية التواصل في تعليم المهارات اللغوية

سيتطرق هذا المبحث إلى عرض موجز للمهارات اللغوية الأربع الخاصة باللغة العربية، مع كيفية استثمار نظرية التواصل فيها؛ كونها تمثل اتجاهًا حديثًا في تعليم اللغة العربية وتعلّمها.

أولاً- عرض موجز للمهارات اللغوية الخاصة باللغة العربية

إن تدريس اللغة العربية يكون أكثر فاعلية إذا قام على أساس تناول مهارات اللغة الأربع(٥) على أنها وحدات أساس، ووسيلة لغاية مهمة تتمثل في الاتصال بين المعلم والمتعلم.

وفيما يلي عرض موجز يتضمن المهارات الرئيسة للغة، والتي أصبحت لازمة على وجه الخصوص في حقل التعليم.

أ- مهارة الاستماع

تعد مهارة الاستماع الوسيلة الأولى في اكتساب اللغة واستقبال أفكار الناس؛ ذلك لأن الإنسان يسمع أكثر مما يقرأ أو يتحدث أو يكتب؛ فتكمن أهميتها في أنها تعد من أدوات العلم والمعرفة، فضلاً عن دورها في إقامة علاقات اجتماعية بين الناس بالمجتمع(٦).

وللتمكن من إتقان هذه المهارة فإنه يجب أن يناقش التلاميذ فيما استمعوا إليه بطرح أسئلة محددة متعلقة بالموضوع، يتم من خلالها تقويم أدائهم اللغوي؛ للوقوف على مدى تقدمهم.

ب- مهارة التحدُّث

تمثل مهارة التحدَّث إحدى المهارات الرئيسة التي يجب على معلميها الاهتمام بها؛ حتى يستطيع الطالب بها التحدث بالعربية؛ كونها أصبحت من اللغات الأكثر استعمالاً بالعالم. وهنا ينبغي على المعلِّم تشجيع المتعلمين على الكلام، وذلك عن طريق منحهم اهتمامًا كبيرًا عندما يتحدثون، وأن يشعرهم بالاطمئنان، والثقة في أنفسهم.

فأهمية الكلام تكمن في أنه يعوِّد الإنسان على الطلاقة في التعبير عن كلامه، فضلاً على أنه يعد وسيلة للإقناع والفهم والإفهام (التواصل)(٧).

ج- مهارة القراءة

تعد القراءة المصدر الأساس للتعليم؛ ذلك أنها تحتاج إلى تدريبات خاصة ومتنوعة، وينبغي أن تقدّم للمتعلمين المبدئيين بالتدرج، انطلاقًا من الكلمة فالجملة البسيطة ومن ثم الجملة المركبة ثم قراءة الفقرة وأخيرًا قراءة النصوص الطويلة.

وللقراءة مهارتان أساسيتان هما؛ التعرف والفهم، وتكمن أهميتها في تحليل النص المقروء إلى أجزاء ومعرفة العلاقة فيما بينها؛ للتمكن من دقة النطق وإخراج الحروف إخراجًا صحيحًا، ومن ثم ربط الرموز الصوتية بالمكتوبة بسهولة ويسر(٨).

د- مهارة الكتابة

تأتي مهارة الكتابة آخر المهارات المتقدمة؛ فهي وسيلة يوظفها الإنسان في نقل الأفكار والآراء والمشاعر إلى الآخرين. ومن هنا تكمن أهميتها من حيث هي طريقة يصوغ بها الفرد أفكاره وأحاسيسه وحاجاته، وما يطّلب إليه صياغته بأسلوب صحيح في الشكل والمضمون(٩).

وعليه، فالكتابة هي القدرة على

استعمال اللغة بأسلوب واضح يستوفي الأهداف الإبداعية لدى المتعلمين من حيث هي الحصيلة المكتسبة ممن سبقها من المهارات الأخرى. وتأسيسًا لما ورد، تعد المهارات اللغوية الأربع طاقات إنتاجية وإبداعية لدى متعلميها، وذلك إن بنيت على الانتقاء والتكامل؛ فالمهارتان الأولى والثانية تحققان إمكانية الفهم والتعبير الشفوي، في حين الثالثة والرابعة تحققان الفهم والتعبير الكتابي.

ثانيًا- مسوغات استخدام نظرية التواصل في تعليم المهارات اللغوية

ظل استخدام التقويم العادي مسيطرًا ردحًا من الزمن لقياس تحصيل الطلبة للمعارف والمعلومات والمفاهيم، في حين كان هناك إهمال لتقويم المهارات اللغوية وبخاصة الأداء الشفوي في مواقف التحدّث والقراءة الجهرية، وعليه فقد ظهرت الدعوات في الميدان التربوي لتطوير تعليم اللغة العربية، ومنها توظيف فكرة التواصل في تعليمية المهارات اللغوية، والتي بدورها تسهم بشكل فعّال في بناء منهج لتعليم اللغة العربية للمتعلمين؛ ذلك أن المهارات اللغوية الأربع إذا بنيت في تعليمها على الانتقاء والتكامل والتفاعل اللغوي تبقى راسخة ومتقنة في الاستعمال؛ فالتواصل إذًا هو "ربط بين الموضوعات وتنظيمها تنظيمًا دقيقًا، بحيث تكون مترابطة ومنسجمة فيما بينها"(١٠).وهذا بدوره يؤثر بشكل فعّال في إتقان اللغة العربية واكتساب مهاراتها اللغوية.

وتتمثل الأسباب الداعية لهذا الاتجاه في التطور السريع الذي يشهده العالم الآن على كافة المجالات، وبخاصة مجال التربية والتعليم؛ إذ يشهد تغيرات كثيرة، مما يتطلب ذلك النظر في وضع مناهج جديرة تلاءم هذه التغيرات، من ضمنها هذا المنهج(نظرية التواصل)؛ إذ يساعد على تكامل شخصية المتعلمين، ويزيد من تحصيلهم الدراسي؛ فهم يشكلون عنصرًا أساسًا في العملية التعليمية، هذا بالإضافة إلى وترابط المعلمين وتواصلهم معهم.

وتأسيسًا لما ورد، فإن التعليم يعد من أهم المجالات التي تستخدم فيها عملية التواصل في المجتمع؛ حيث تساير هذه العملية خصائص نحو المتعلمين وتحقق مطالبهم المتباينة. وتقوم هذه العملية لدى المتعلمين على مهارات أساسية وفرعية، ويسهم المعلمون في الوصول إلى إتقان المهارات اللغوية التي تمكن المتعلم من استيعاب المواد الدراسية الأخرى، ومن ثم تحقق العملية التربوية أهدافها بوصفها وسيلة أساسية تمكن المجتمع من بناء أفراده بالعناصر المتميزة لتحمل المسؤوليات وتصريف شؤون الحياة.

إن تعليم اللغة العربية في ضوء هذا الاتجاه يقوم أساسًا على مهاراتها اللغوية التي بيَّناها سابقًا؛ فتتحقق بها فاعليتها، وتكون أكثر إتقانًا، غير أن ثمَّت صعوبات قد تواجهنا أثناء تطبيق هذا الاتجاه؛ منها صعوبة تقبل المتعلمين لعدة مواضيع في الحصة الواحدة، وبالتالي يقعون في أخطاء جسيمة أثناء تواصلهم مع بعضهم البعض، ومنها الأخطاء النحوية، والتي تنحصر في الإعراب والتعريف والتنكير والضمائر وغيرها؛ إذ يخطئون مثلاً في: (هاي) والصواب (هذه)، و (اللي) والصواب (الذي).....إلخ، وكذلك أيضًا الأخطاء الإملائية، وهي مخالفة القواعد الإملائية؛ إذ تتركز في قضية الإعجام وموضع الهمزة نحو: (آدباها) والصواب (آدابها)، و(الإجتماع) والصواب (الاجتماع)..... إلخ، هذا بالإضافة قد تكون المادة سطحية وغير عميقة، وكذا ندرة المعلمين الأكْفَاء ممن لديهم القدرة المعرفية في إيجاد الصلات بين المناهج المختلفة، ولكن يمكن تجاوز ذلك بتطبيق وتفعيل هذا الاتجاه بحيث يقوم على تكامل الخبرة والمعرفة والشخصية والعمل الجماعي. ومن هنا يمكن تنمية مهارات المتعلمين وتصحيح الأخطاء التي يقعون فيها من خلال برنامج تصحيحي ذاتي يتبعه المعلم مع طلابه؛ حيث يقوم بإرشاد الطلبة على الطريقة الصحيحة لكتابة الكلمات التي يكتبونها بطريقة خاطئة. وهذا ما قصدنا به هنا بالدراسة اللسانية التطبيقية. وبناء عليه، فقد أصبحت نظرية التواصل من الأمور التي يؤخذ بها في دراسة اللغة؛ حيث تهتم بنماء المتعلّم نموًّا متكاملاً في مختلف المجالات.

خلاصة القول:

إن تدريس اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية يهدف إلى تنمية المهارات اللغوية الأربع وهي الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة، وعليه فإن تعليمية المهارات اللغوية في ضوء نظرية التواصل يسمح بتذليل صعوبات اللغة العربية، ويساعد على إتقانها من قبل معلميها ومتعلميها، فضلاً عن اهتمامها في عملية تصحيح الأخطاء التي يقع فيها متعلمي اللغة؛ لكونها لغة القرآن الكريم الذي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه؛ إذ هو العامل الكبير في حفظها إزاء كل التحديات التي

مرت بها، وما زالت تمر؛ لذا لابدَّ أن نوليها اهتمامنا في كافة المجالات العلمية، مع التركز عليها في مختلف مراحل التعليم، هذا بالإضافة إلى التنويه بعقد الكثير من الحلقات النقاشية والمؤتمرات حول قضاياها في ظل المعطيات المعاصرة، ووضع الحوافز المشجعة على ذلك، كذلك استثمار ما تقوم به المجامع اللغوية العربية من تنشيط حركة التعريب والترجمة؛ لأن ذلك سيسهم – حتمًا- في إعداد مصطلحات موحدة لمختلف التخصصات العلمية. وأخيرًا ليكن هناك نوع من الرقابة الذاتية؛ لرفض استخدام التعليق على الموضوعات إلا باللغة الفصيحة، وتجنب الحديث باللغات الأجنبية.

الهوامش:

١ – ينظر: فتحي يوسف، الأسلوب التكاملي في بناء المنهج –النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م، ص(٣).

٢ – ينظر: غسان خالد، تحديد معنى طريقة التدريس في إطار علمي متجدد، بحوث تربوية ونفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ، ص(٨٧).

٣ – سيتم التطرق إليها من خلال المبحث الثاني من هذا البحث.

٤ – ينظر: سعيد محمد، التكاملية في تعليم اللغة العربية، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد-عمَّان، ٢٠٠٢م، ص(٢٣-٢٤).

٥ – مهارات اللغة الأربع: الاستماع، التحدُّث، القراءة، الكتابة.

٦ – ينظر: محمود كامل الناقة ورشدي أحمد طعيمة، طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، مطبعة العارف الجديدة – الرباط، ٢٠٠٣م، ص(١٠٠-١٠٢)؛ حسني عبد الباري، فنون اللغة العربية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٠م، ص(٩٩).

٧ – ينظر: عبد الحميد عبد الله وناصر عبد الله، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، دار الغالي – الرياض، د.ت، ص(٥٤)؛ محمد عيد، مدخل إلى تدريس مهارات اللغة العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط (١) ٢٠١١م، ص(٤٠).

٨ – فتحي علي يونس ومحمود كامل الناقة، أساسيات تعليم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٧م، ص(١٦٩).

٩ – ينظر: محمد عطية الإبراشي، الطرق الخاصة لتدريس اللغة العربية والدين، الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٧٥م، ص(١٦٧).

١٠ – زوينة بنت سليم الجهوري، فاعلية الطريقة التكاملية في تحقيق الأهداف المرجوة في تدريس المطالعة والنصوص لدى طالبات الصف الأول الثانوي بسلطنة عمان، رسالة ماجستير غير منشورة،٢٠٠٢م، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، ص(٧٤)؛ وكذلك ينظر: التواصل الفعال: الأسس النظرية والمجالات التطبيقية/ جامعة الشارقة، تاريخ النشر: ١٤٣٣م/٢٠١٢م/ الشارقة، ص(٩).

المصادر والمراجع

١. التواصل الفعال: الأسس النظرية والمجالات التطبيقية/ جامعة الشارقة، تاريخ النشر: ١٤٣٣م/٢٠١٢م/ الشارقة.

٢. حسني عبد الباري، فنون اللغة العربية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٠م.

٣. زوينة بنت سليم الجهوري، فاعلية الطريقة التكاملية في تحقيق الأهداف المرجوة في تدريس المطالعة والنصوص لدى طالبات الصف الأول الثانوي بسلطنة عمان، رسالة ماجستير غير منشورة،٢٠٠٢م، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس.

٤. سعيد محمد، التكاملية في تعليم اللغة العربية، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد-عمَّان، ٢٠٠٢م.

٥. عبد الحميد عبد الله وناصر عبد الله، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، دار الغالي – الرياض، د.ت.

٦. غسان خالد، تحديد معنى طريقة التدريس في إطار علمي متجدد، بحوث تربوية ونفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.

٧. فتحي علي يونس ومحمود كامل الناقة، أساسيات تعليم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٧م.

٨. فتحي يوسف، الأسلوب التكاملي في بناء المنهج –النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩. محمد عطية الإبراشي، الطرق الخاصة لتدريس اللغة العربية والدين، الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٧٥م.

١٠. محمد عيد، مدخل إلى تدريس مهارات اللغة العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١م.

١١. محمود كامل الناقة ورشدي أحمد طعيمة، طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، مطبعة العارف الجديدة – الرباط، ٢٠٠٣م.